

عبد الناصر «بأن المعركة هي معركة كل العرب، لا فارق بين وطني يميني ووطني يساري». ودشن مؤتمر القمة العربي المنعقد في الخرطوم، في آب (اغسطس) ١٩٦٧، هذه السياسات العربية الجديدة الخاصة بتفاعلات النظم العربية، والتي تقوم على ثلاثة مبادئ: أولها عدم التدخل في شؤون النظم العربية الأخرى؛ وثانيها تجاوز الخلافات المجتمعية القائمة في كل قطاع عربي؛ وثالثها احلال مصادر جديدة للنفوذ والزعامة العربية، حيث صارت القوة الاقتصادية للنفط مصدراً أساسياً للنفوذ والزعامة والتأثير السياسي في الوطن العربي.

وصاحب كل ذلك، اتباع العديد من الانظمة العربية لسياسة مد الجسور مع الولايات المتحدة الاميركية، وقبول المشاريع الاميركية لحل مشكلة الشرق الاوسط، وانتشرت فكرة اماكن «تحييد اميركا» وايقاف فاعليتها في مؤازرة اسرائيل. ولعب الجهاز الاعلامي الدور الاساسي في عملية تهيئة الازدهان للتغير المطلوب، وهو الابتعاد التدريجي من الاتحاد السوفياتي، وطرح فكرة اماكن التفاهم مع اميركا، ثم الدعوة الى الكف عن معاداتها، حيث لا طاقة لنا بذلك، وحيث من الممكن تحييدها تجاه الصراع العربي - الاسرائيلي.

ومن طبائع الامور ان تتجاوب الادارة الاميركية مع تلك الاتجاهات العربية «المعتدلة» ولكن بحذر، كي تدفع اصحابها الى مزيد من «الاعتدال». فنشطت «الارساليات الدبلوماسية الاميركية» وكثرت زيارات السياسيين الاميركيين غير الرسميين لعدد من الاقطار العربية، بدعوى التعرف على مشكلات الشرق الاوسط، ودراسة الموقف العربي، وامكانات تحقيق السلام في المنطقة دون الاخلال بأمن اسرائيل وتقويتها المطلق في المنطقة.

وكان بول فندلي هو احد هؤلاء السياسيين غير الرسميين الذين لعبوا دوراً كبيراً في بداية السبعينات في تمهيد السبيل للعرب لاعادة علاقاتهم بالولايات المتحدة، وذلك عبر زيارته، غير الرسمية، ولقاءاته بالعديد من الملوك والرؤساء العرب، ونقل وجهات نظرهم، ورسائلهم، الى الادارة الاميركية، وتبشيرهم بتفهم واشنطن لمواقفهم، ومداعبة احلامهم في حياض اميركي تجاه الصراع في المنطقة.

وعلى الرغم من ان فندلي يشير في كتابه الى ان زيارته الاولى للمنطقة كانت بدعوى الافراج عن احد المسجونين الاميركيين بتهمة التخابر في عدن، ولم يكن لها أي مغزى سياسي، الا انه يذكر، ايضاً، انه قام، خلال الجولة ذاتها، بلقاء الرئيس حافظ الاسد في سوريا والرئيس سالم ربيع علي في عدن.

ولذلك، كان لا بد من الاستعراض السابق لظروف المنطقة العربية، ومتغيرات تلك الفترة، كي ندرك المهمة الاساسية التي جاء من اجلها فندلي، وهي حمل رسالة من هنري كيسنجر الى من يهجم الامر من حكام العرب تتضمن التزام اميركا المستمر بالعمل في سبيل سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط، ورغبة اميركا في تدعيم علاقاتها بالوطن العربي. وكانت هذه الرسالة - كما وصفها فندلي - وسيلة دبلوماسية لجس النبض، أي التعرف على مدى استجابة الحكومات العربية للسلام الاميركي، ورعايتها للمصالح الاميركية في المنطقة.

على اية حال، لم يكن فندلي - او اي من الاميركيين الذين زاروا المنطقة في تلك الفترة - مناصراً للحق العربي في مواجهة الوجود الصهيوني، ولم يكن صديقاً للعرب، كما يحاول البعض - عرباً وصهيونيين - تصوير هؤلاء الاميركيين المنادين بعلاقات عربية - اميركية متينة؛ فهم لا يرون في ذلك الاحكامات عربية ترعى مصالح اميركا في المنطقة، فلا بد، اذاً، من ان تلقى مساندة اميركا وصدقتها. ويفخر فندلي، في كتابه، بأنه «ندد بالعنف الفلسطيني» ولم ير الحق الفلسطيني الا في حدود «اقامة دولة في الضفة والقطاع مقابل الاعتراف باسرائيل ونبذ وسائل العنف». ويفخر، ايضاً، بأنه «صوت في الكونغرس، باستمرار، الى جانب مساعدة اسرائيل، ووجه انتقادات شديدة الى الدول العربية، وخاصة الى مصر».

كل ما سبق يدفعنا الى الحذر من الكاتب، والحذر من الوقوع في فخ التحدث عن اصدقاء العرب، او المناصرين للحقوق العربية، من الاميركيين؛ فهؤلاء يضعون المصالح الاميركية في المقام الاول، بشكل متميز عن النفوذ الصهيوني الذي يسعى الى فرض المصالح الاسرائيلية ووضعها في المقام الاول في سياسات اميركا تجاه المنطقة.

رغم كل ذلك، فقد تعرض فندلي لهجوم واسع من اليهود الاميركيين، انتهى به الى الفشل في انتخابات الكونغرس العام ١٩٨٢، بعد تسعة عشرة عاماً قضاها عضواً فيه. ودفعت به الهزيمة الى العمل مدة عامين متواصلين لاعداد هذا الكتاب القيم، الذي يترصد فيه نشاط اللوبي الصهيوني في اميركا ووسائل عمله، وكيفية